



«الديكتاتورية» و«نية التوريث»

أطاحتا بتشاوشيسكو ديكتاتور رومانيا

في ثورة 1989



تشاوشيسكو يستقبل المواطنين



تشاوشيسكو يتابع التطورات على أرض الواقع



الجنود حاصرت الفوار دون جدوى



لم تستطع قوات الأمن الرومانية ضبط المتظاهرين



عنف الشرطة خلال الثورة الرومانية

في نهاية الثمانينات بالتزامن مع اقتراب الحرب الباردة من نهايتها ورياح التغيير التي هبت على دول حلف وارسو، بدأ واضحا أن الديكتاتور الروماني نيكولاي تشاوشيسكو أصبح يعيش خارج الزمن، وأن سقوط أحد أعنى صروح الشيوعية في أوروبا الشرقية لم يعد بعيدا.

لقد كان تشاوشيسكو مصابا بجنون العظمة بكل معنى الكلمة، وكان يصف نفسه بـ «دانوب الفكر» نسبة إلى نهر الدانوب الشهير الذي يمر في بلاده ويشكل أحد شرايينها المهمة، رغم أن شعبه كان الأفقر في أوروبا الشرقية إلا أنه كان يرى أنه نبي «رومانيا الفاضلة»، وأن الرومانيين من أسعد شعوب العالم وكان يفخر بامتلاك 5 قصور أحدها يضم ألف حجرة وهو ما لا يملكه أحد حتى إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا العظمى هذا إلى جانب قصوره الطائرة (الطائرات الرئاسية) والمتنقلة (القطارات الخاصة به).

لكن رغم أهمية كل ذلك لا يذكر تشاوشيسكو اليوم إلا لكونه أحد القادة الذين أعدمهم شعبهم مع زوجته ايلينا على الملأ في أعقاب أسبوع من التمرد والعصيان الشعبين في نهاية ديسمبر 1989.

ورغم تأثره بـ ستالين لم تكن رومانيا في نهاية الحرب الباردة موالية لنظام موسكو بل كان تشاوشيسكو يميل إلى نهج الزعيم اليوغوسلافي تيتو في عدم الانحياز في السياسة الخارجية ويعشق نموذج «كيم إيل سونغ» (والد الزعيم الحالي كيم يونغ إيل) في كوريا الشمالية ويطمح لتقديس أبناء شعبه له!

لم يكتف تشاوشيسكو بالتغيرات المحيطة ببلاده وتبني زعيم الاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشيف إلى «بيروسترويك» (إعادة البناء الاقتصادي) والـ «غلاسنوست» (الانفتاح) بل كان يعمل على اعداد ابنه «نيكو» ليخلفه رغم المشاكل الأخلاقية وإدمانه على الشرب والقمار وصيته الذائع في أوساط الشعب.

اندلعت شرارة الأحداث في 16 ديسمبر من مدينة تيميسوارا عندما قررت الحكومة طرد المطران المجري باستور بسبب توجيهه انتقادات إلى النظام في وسائل إعلام عالمية.

ردا على الحادثة خرج السكان الغاضبون في تظاهرات عنيفة لم تفلق الشرطة في التعامل معها رغم توقيف عدد كبير من المتظاهرين. واستمرت الحركات الشعبية يومي 17 و18 ديسمبر متراقة مع دعوات إلى إضرابات شلت البلد وتطورت إلى احتلال الموظفين للدوائر والمقار الحكومية مع رفع شعار مثل «نظام تشاوشيسكو سيسقط» و«نحن الشعب». تشاوشيسكو كان في تلك الأثناء في زيارة رسمية إلى إيران فطلب من زوجته معالجة الأمور، فأرسلت مندوبين لمفاوضة المتظاهرين وأبلغوهم بالموافقة على إطلاق السجناء ولكنهم رفضوا المطالبات باستقالة تشاوشيسكو.

وفي ظل هذه الأجواء انتقلت عدوى الاحتجاج إلى بوخارست التي عاد إليها تشاوشيسكو حيث طلب مخاطبة الشعب، وخلال خطابه أمام 110 آلاف ارتأى أن يمتدح إنجازات نظامه منذ توليه الأمانة العامة للحزب الشيوعي عام 1965 ثم الرئاسة عام 1974 وحتى 1989 وباستثناء وعده بزيادة الرواتب بـ 4 دولارات (نحو 5% من معدل الرواتب حينها) تركز كلامه على تخوين وإهانة المحتجين في مدينة تيميسوارا.

كان الخطاب منقولا مباشرة على الهواء لكن البث انقطع واستبدل بكليبات تشيد بتشاوشيسكو وإنجازاته ففهم سكان رومانيا الذين كان نحو 57% منهم يتابعون الخطاب أن شيئا ما غير طبيعي كان يحصل.

وبالفعل ردد الحضور باستثناء الجالسين بالصفوف الأمامية هتافات منددة بالرئيس دفعته إلى قطع خطابه والدخول إلى القصر.

حاول اكتمال خطابه من شرفة القصر لكن الصغير والتنديد وشعارات مثل «استسقط يا ديكتاتور.. والعقاب للقاتل» أجبرته على وقف المحاولات.

أمر تشاوشيسكو رجال الشرطة بقمع المتظاهرين ما أدى إلى سقوط 162 قتيلًا. في 22 ديسمبر عاد المتظاهرون لحاصرة القصر الرئاسي مرددين هتافات أرعبت تشاوشيسكو فسارع إلى المغادرة مع زوجته عبر احد الممرات السرية ليستقل مروحيته ويتوجه إلى خارج العاصمة بوخارست، ولكن في طريقه إلى مخبئه الخاص اكتشفه بعض الفلاحين الذين ألغوا القبض عليه وسلموه إلى الثوار الذين كبلوا يديه وبدي زوجته وقاموا بإعدامها رميا بالرصاص في مشهد نقل مباشرة على الهواء ليتابعه أبناء الشعب ليراه الرومانيون ويقتنعوا بأنه قد قضى على الديكتاتور فعلا.

وتابع الجمهور حول العالم اقتحام المتظاهرين للقصر وأعمال السرقة والتخريب التي حلت به. رومانيا اليوم عضو في الاتحاد الأوروبي منذ 2007 وهي تاسع دول الاتحاد مساحة والسابعة بعدد السكان (21,5 مليون نسمة) وفي تأكيد على طبي صفة الماضي الشيوعي الشرقي انضمت إلى حلف الناتو في 2004.

● بقلم: محمد الحسيني



كان يعتبر نفسه

«دانوب الفكر وباني

الدولة الفاضلة»

ويطمح إلى تقديس

أبناء شعبه



لشخصه

أحد أشهر

ديكتاتوري أوروبا

11

ثورات الربيع

من صراع القوميات الذي تصاعد إلى حربين عالميتين، إلى صراع الأيديولوجيا الذي أدخل العالم في حرب باردة بين «الجبارين»، وصولا إلى ما يسمى بعصر القطب الواحد والعولمة، شهد العالم ثورات وانتفاضات شعبية لن تُنسى لاسيما تلك التي اتسمت بالطابع السلمي.

بعد انتصارها في الحرب الباردة واجهت الولايات المتحدة عمليات استهداف معادية من جماعات إسلامية سبق أن دعمتها أميركا في حربها الضروس ضد الاتحاد السوفياتي في أفغانستان. وصلت حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان عام 1994، ووفرت ملاذا آمنا لتنظيم «القاعدة» الذي أسسه أسامة بن لادن بين عامي 1988 و1989 أعلن حربه رسميا على الولايات المتحدة، وأولى عملياته البارزة كانت محاولة تفجير برج التجارة العالمي في 1993، ثم استهداف السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، قبل أن ينفذ هجمات 11 سبتمبر التي كرسست عمليا نظرية كان قد أطلقها استاذ العلوم السياسية صامويل هنتنجتون عام 1993

عن «صراع الحضارات» اعتبر فيها أنه بعد الحرب الباردة ستكون المواجهة الأعنف على أساس الحضارة، مستعرضا عددا من المواجهات المحتملة للحضارة الغربية مع الاسلام والحضارتين الصينية والاندوكية (الهندية).

مسار الأحداث والصراع بين «القاعدة» والغرب أعطى النظرية زخما منقطع النظير ودارت نقاشات مطولة، غالبا ما كانت تنتهي إلى أن المجتمعات الإسلامية ممانعة بحضارتها وموروثاتها للديموقراطية، مستشهدين بالثورة الإيرانية التي لم تقض إلى ديموقراطية

بمفهومها الغربي رغم سلميتها، واستبعد كثير من الخبراء وبينهم هنتنجتون أن يشهد العالم العربي ثورات شبيهة بتلك الثورات التي حررت دول أوروبا الشرقية قبل وبعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفياتي.

رحل هنتنجتون عام 2008 قبل 3 سنوات من أحداث اجتاحت فجأة العالم العربي فيها الكثير من سمات الحركات التحررية والديموقراطية السلمية التي سبق ان شهدها الغرب بدءا من أحداث 1968 في فرنسا إلى ربيع براغ ثم سقوط الجدار، كما لم يشهد قبل وفاته أحداث النرويج في 22 يوليو 2011 والتي تؤكد أن اليمين المسيحي ليس بأقل تطرفا من اليمين الإسلامي.

ارجاء كثيرة من العالم العربي المسلم بغالبية شهدت خروج ملايين الشباب إلى الشوارع بحماس منقطع النظير، بدأ في تونس وامتد إلى دول أخرى تحت شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» مستفيدين من ثورة التكنولوجيا القادمة من الغرب والإعلام الجديد الذي قدمته شبكة الإنترنت.

قوبلت الثورات بترحيب غربي وبذلت الدول الغربية وسفاراتها جهودا كبيرة على غرار تلك التي بذلتها في نهاية الثمانينيات في أوروبا الشرقية.

وحاولت مساعدة الثوار في أكثر من حالة كان أوضحها ليبيا على تشكيل سلطة مؤقتة بديلة تتولى المرحلة الانتقالية خلال وبعد سقوط النظام.

بمناسبة ما أطلق عليه «الربيع العربي» نستعيد بالذاكرة بعض الثورات المشابهة في أوروبا والعالم خلال العقود الماضية منها الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا والثورة الوردية في جورجيا والبرتغالية في أوكرانيا وثورة التوليب في قيرغيزيا وثورة البلدوزر في صربيا وثورة الغناء في دول البلطيق، إضافة إلى بعض تجارب القرن الماضي في مجال النضال السلمي للحركات التحررية وصولا إلى الثورات العربية.



تشاوشيسكو عندما كان سكرتير اتحاد الشيوعية



متظاهرا منددا بتشاوشيسكو